

المقابر

الدرر الكامنة

ليس احسن من تراجم الرجال للوقوف على حال السياسة والاجتماع في عصر من العصور ففي جملة ما طبع من كتب التراجم والطبقات كتاب خلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمعجمي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي المتوفى سنة ١٢٣٣ ولم تطبع تراجم اعيان القرن الثامن والتاسع والعاشرون وان كان مثل السبكي في طبقاته والصلاح الكتبي في وفياته قد تعرضا لبعض المترجمين في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لحافظ عصره قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن علي بن حجر الكنافي المسقلاني الاصل المصري والضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ وان لم يدركا من الرجال من جاء بعد من ذكرهم صاحب الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة النجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١

وها نحن نتكلم على « الدرر الكامنة » وسنعبه في الجزئين التاليين بالكلام على الضوء اللامع والكواكب السائرة .

جاء في كشف الظنون : الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثلاثمائة مجلد ضمن اوله الحمد لله الذي يبيي ويميت الخ جمع فيه تراجم من كانت في المائة الثامنة من الاعيان مرتباً على الحروف ذكر في آخره انه فرغ منه في شهر سنة ٨٣٠ ثلاثين وثلاثمائة ولم يكمل الغرض لبقايا من التراجم في الزوايا ثم اختصره جلال الدين السيوطي في مجلد ولابن المبرد ايضاً مختصره

أما الكتاب الذي نحن بصدده فنه في دمشق مخطوط ^(١) قدم بخط إبراهيم البقاعي مهمل غير ميم وتعمد في الأحابن قراءته وهو في مجلد ضخم من القطع الكبير قال في مقدمته : « أما بعد فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة إحدى وسبعائة إلى آخر سنة ثمان مائة من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء وعينت فيه برواة الحديث النبوي فذكرت من أسلمت على حاله وأشرت إلى بعض مروياته إذ الكثير منهم شيوخ شيوخه وبعضهم أدركته ولم ألقه وبعضهم لقيته ولم أسمع منه وبعضهم سمعت منه وقد استمدت في هذا الكتاب من أعيان العصر لأبي الصفا الصفدي ومجاني العصر لشيخ شيوخنا أبي حيان وذخيرة العصر لشهاب الدين ابن فضل الله وتاريخ مصر لشيخ شيوخنا الحافظ قطب الدين الحلبي وذيل سير النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي وذيل المرأة للحافظ علم الدين البرزالي والوفيات للعلامة نبي الدين ابن رافع والذيل عليه للعلامة شهاب الدين ابن جسي ومآثره صاحبنا تقي الدين المقرئ في أخبار الديار المصرية وخطوطها ومعالم كثير من شيوخنا والوفيات للحافظ أبي الحسين بن أسد الدين باطلي والذيل عليه لشيخنا الحافظ أبي الفضل بن الحسين العراقي وتاريخ غرناطة للعلامة لسان الدين ابن الخطيب والتاريخ للقاخي ولي الدين ابن خلدون المالكي إلى غير ذلك وبالله الكريم عوفي وإياه أسأل عن الخطأ صوفي » قريب بحسب . »

وهذا المجلد في ٢٦٧ ورقة مرتب على حروف المعجم يميل فيه المؤلف إلى الاختصار وفيه من تراجم المشاهير ترجمة أبي جعفر ابن الزبير والشهاب الأذري وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن فضل الله العمري وعماد الدين ابن كثير وابن الوردي وابن الشهاب محمود وابن المطهر الشيعي والصلاح الصفدي والعلائي والطوفي وابن خطيب داريا وابن عقيل وابن القيم وبرهان الدين القيراطي وابن هشام وابن رجب وابن جماعة والتاج السبكي والأردبيلي والتقي السبكي والسلطان محمود غازات والحافظ البرزالي وابن الأكفاني والحافظ الذهبي وشيخ الربوة ولسان الدين ابن الخطيب والخطيب القزويني والكمال ابن الزمكاني وابن دقيق العيد والبدر البلقيني وابن الوكيل وابن سيد الناس وابن نباتة وابن الحاج وابن المكرم والشمس القنوي وأبو حيان الأندلسي وقطب الدين الشيرازي والبازري والحافظ المزني وغيرهم ممن كانوا غرة ذلك القرن

(١) في خزانة كتب الشيخ اسمعيل الميداني من بيت علم مذكور في دمشق

كما ان فيه من الخاملين ممن لانسقط لهم على تراجع ولو مختصرة الا سيفه هذا السفر
ومن اعظم ما يلفت نظرك في هذا الكتاب روح التعصب التي كانت مستحوذة سيفه ذلك
العصر ايام كان يقتل كل من يخالف الجمهور في فكر او مذهب فتقرأ فيه صورة مكبرة
من حال ذلك القرن الذي استولت فيه على هذه البلاد الجراكمة والشار من اصبحوا العوبة
في ايدي المتعصبة من رجال الدين وهالك ما قاله في ترجمة اسمعيل بن سعيد الكردي
المصري « تفقه وتبحر في القراءات والفقه والعربية وكان طلق العبارة سريع
الجواب حسن التلاوة بدري الحايي والحاجية ويحفظ الكثير من النوراة والانجيل
رعي بالزندقة بسبب انه كان كثير الهزل وحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له
اسمعيل الكافر واسمعيل الزنديق وطلب اليه في الدين الاخنائي وادعي عليه فخلط في
كلامه فنجاه شخص من الصالحين فاخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم سيفه
منامه فقال له قل : للاخنائي يضرب رقية اسمعيل فانه سب اخي لولا فاستدعى به واعاد
مجلساً وأقيمت عليه البيعة بامور معضلة فامر به فقتل بحكم المالكي بن النصرين في السادس
والعشرين من صفر سنة عشرين وسبعائة نقلته من خط القطب وذكر انه حضر ذلك
وقال كان قد نظر في المتعلق فدخل في كلام لا فائدة فيه فضبط عليه . وقرأت في تاريخ
موسى بن محمد اليوسفي انه كان مشهوراً بالعلم بين الفقهاء وله فضيلة مشهورة في الادب »
قلنا واقع بعصر ينتل فيه العالم عقيب رؤيا يراها احد ارباب الخيال .

ومن ضربوا على الزندقة « ناصر بن ابي الفضل بن اسمعيل المقرئ الصالح ولد سنة
٦٦٦ ونشأ جميلاً جاداً وكان صوته مطرباً فكان يقرأ في الختم والترب وحفظ التنبيه
ثم صاحب الباجر بقي محلي فصار يقع منه كلمات معذلة وسلك سبيل التزهيد ودخل الى بغداد
مع ركب العراق فيقال انهم تنعموا عليه شيئاً وهموا به فتوجه الى ماردين ثم فر منها الى
حلب فخرى على عادته في الشطح فانكر عليه كمال الدين بن الزملكاني وهو يومئذ قاضي
حلب فقبض عليه وارسله مقيداً الى دمشق فقامت عليه البيعة عند الناضي شرف الدين
المالكي فاعذر اليه فما ابدى عذراً بل تشهد ومضى ركعتين وجهر بتلاوة القرآن ثم ضربت
عنقه وذلك في ربيع الاول سنة ٧٢٦ ويقال انه انشد حين قدم ليقتل

ان كان سفك دمي أقصى مرادهم فاعلت نظرة منهم بسفك دمي

وقال ابن حبيب قلت فيه لما قتل

باليها البقي هيت الى الردى كم تجتري بلسان خب هالك

ارسلت من حلب بطلب موثقاً ونقلت بعد الشافعي لمالك

وفي الحاشية بخط ابن حيان القاعي : قال ابن كثير : ضربت عنه « بسوق الخليل على كفره واستهتاره بآيات الله وشركه وصحبته الزنادقة كالنجم ابن خلدكان والشمس محمد الباجرقي وابن العمار البغدادي قال الشيخ علم الدين : وحضر قتله العلماء والاكابر وارباب الدولة وكان يوماً مشهوداً اعز الله فيه الاسلام (١) واذل فيه الزنادقة واهل البدع وقد شهدت مهلكه وكان شيخنا ابن تيمية ايضاً حاضراً يومئذ وقد آتبه وقرعه على ما كان يصدر منه اهـ »

وقال سيف ترجمة السكاكيني مانصه : « محمد ابن ابي بكر بن ابي القاسم الحمداني ثم الدمشقي السكاكيني الشيعي ولد سنة ٦٣٥ بدمشق طلب الحديث وتأدب وسمع وهو شاب ابن اسمعيل العراقي والرشيد بن المسلمة ومحمد بن علام سيف آخرين وتلا بالسبع روى عنه البرزالي والذهبي وآخرون من آخرهم ابو بكر بن المحب وبالأجازة شيخنا برهان الدين التنوخي . وأقعد في صناعة السكاكين عند شيخ رافضي فأفسد عقيدته فأخذ عن جماعة من الامامية وله نظم وقصائد ورد على العفيف التلمساني في الاتحاد وام بقرية جسر بن مدة وام بالمدينة النبوية عند اميرها منصور بن جبار (٢) ولم يحفظ عنه سب في الصحابة بل له نظم في فضائلهم الا انه كان يناظر على القدر وبكر الجبر وعنده تعبد وسعة علم قال ابن تيمية : هو ممن يتسن به الشيعي وبشيع به السني . وقال الذهبي : كان حلواً المجالسة ذكياً عالماً فيه اعتزال وبنطوي على دين واسلام وتعبد سمعنا منه وكان صديقاً لابني وكان بكر الجبر ويناظر على القدر ويقال انه رجع سيف آخر عمره ونسخ صحيح البخاري ووجد بعد موته بمدة سيف ستة خمسين وسبعائة بخط يشبه خطه كتاب يسمى الطرائف في معرفة الطوائف يتضمن الطعن على دين الاسلام واورد فيه احاديث مشككة وتكلم على متونها تكلم عارف لما يقول الا ان واضع الكتاب بدل على زندقه فيه وقال في آخره وكتبه مصنفه عبد الحميد بن داود المصري وشهد جماعة من اهل دمشق انه خطه فاخذه تقي الدين السبكي عنده وقطعه في الليل وغسله بالماء ونسب اليه عماد الدين ابن كثير الايات التي اولها

ايا معشر الاسلام ذمي دينكم الايات ومات السكاكيني في صفر سنة ٧٢١ « وفي الحاشية وجزم ابن كثير ان الكتاب الدال على الزندقه خطه وقال : ان فيه انتصاراً لليهود واهل الاديان الفاسدة قال وللمات لم يشهد دفنه القاعي شمس الدين بن مسلم ودفن

بسفع قاسيوت وقتل ابنه فيما بعد على قذف أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهما .

وتراجم مثل السكاكيني تؤخذ عن امثال الحافظ الذهبي وكفاه فضلا ان مثل الذهبي والبرزالي يعدان من مفاخرهما الاخذ عنه وآثار التعصب والحقيقة لا تخفى على من قرأ العبارة الاخيرة . وقال في ترجمة « علي بن الحسن بن ابي الفضل بن جعفر بن محمد ابن كثير الحلبي الرافضي قدم دمشق واقام بها سنوات فاتفق انه شق الصفوف والناس في صلاة جنازة بالجامع الاموي وهو يعلن بسب من ظلم آل محمد فخره عماد الدين بن كثير وأغرى به العامة وقال ان هذا يسب الصحابة فحملوه الى القاضي نقي الدين السبكي فاعتبر بسب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاعتدوا له مجلسا فحكم نائب المالكي بضرب عنقه تعزيراً وزجراً بعد ان كررت عليه التوبة ثلاثة ايام فاصر فضربت عنقه بسوق الخيل وحرق العوام جسده وذلك في جمادى الاولى سنة سبعائة وخمس وخمسين » .

ومن انعم النظر في تراجم من قتلوا يتضح له انهم كانوا على جانب عظيم من العقل والعلم وان اكثر ما روي عنهم متقول عليهم ليجدوا السبيل الى اقناع العامة والحكام لازهاق ارواحهم

وفي الدرر عدة تراجم من هذا القبيل تدل على الخطاط في ذلك العصر وان الناس كانوا يعمدون للتشنيع ممن يجهلون الى استفتاء القاضي المالكي لان مذهب مالك يقتضي بان يكون التعزير بالقتل او بالحبس والتشهير كما وقع لاحمد بن محمد مري البعلبي الحلبي من اشياح ابن تيمية فرفعوا امره الى القاضي المالكي بالقاهرة « فضر به ضرباً مبرحاً بحضرته حتى ادماه ثم شهره على حمار اركبه مقلوباً ثم نوذي عليه هذا جزاءه من يتكلم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت العامة تقتله ثم اعيد الى السجن »

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد البقعي المصري الاديب العالم فضر بواعقه بامر القاضي المالكي بالطبع لانه بدت منه كما قيل امور تنبئ باه مستهزي بامور الديانة وانه منحل مستحل المحرمات

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد بن اسمعيل الحلبي الاديب المتصوف فضبطت عليه الفاظ موبقة فرفع امره الى الحاكم مجلب فحكم القاضي المالكي صدر الدين الدميري بسفك دمه فقتل وهو الفائل

اذا نلت المني بصديق صدق فكان وداده وفق المراد

فخاذرات تعامله بقرض فان القرض مقرض الوداد

ومثله اسمعيل الكردي واحمد الروسي وعثمان الدكالي وفضل الله ابن اليهودي ومحمد الباجريقي وعلي بن الحسن الرافضي وغيرهم ممن ذهبوا شهداء قضية المالكية والمنتعصة من العامة وبعضهم كانوا في مظهر علماء وهم الذين اوصلوا الامة الى هذه الدرجة من الافكار والتصور .

ومن الغريب انهم كانوا يخوفون حتى من كان على رأيهم من الفقهاء والعلماء فقد ذكر ابن حجر في ترجمة العلماء ابن العطار ان الشيخ شمس الدين النقيب وغيره تكلم في فتاوى تصدر من ابي الحسن بن المطار وادعوا ان فيها تنبيهاً ومخالفة لمذهب القاضي واجتمعوا عند بعض الحكام فبادر جماعة من محبي الشيخ علماء الدين فقالوا له انهم هيأوا شهادات يشهدون عليك بها فغارت قوته وبادر الى الخنفي وصدرت عليه دعوى فحكم باسلامه وحقق دمه وبقائه جهاته عليه !!!

وها نحن اولاً ننقل ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية لانها تصور لك مزبلة هذا الكتاب وهي خير ترجمة عثرنا عليها بل تصور لك ذلك العصر الذي كثر فيه تعذيب العلماء قال ابن حجر رحمه الله : « احمد ^(١) بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله ابن ابي القاسم ابن تيمية الحارثي ثم الدمشقي الحنبلي نقي الدين ابو العباس بن شهاب الدين ابن محمد الدين ولد سنة ٦٦١ وتحول به ابوه من حران سنة ٦٧ فسمع من ابن ابي عبد الدائم والقاسم الاربلي والمسلم ابن علان وابن ابي عمر والفخر في آخرين وقرأ بنفسه ونسخ سنن ابي داود وحصل الاجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وقهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وافق وافاق الاقران وصار عجبا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

واول ما اذكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ٦٩٨ قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى المحبوبة ^(٢) وبجشوا معه ومنع من الكلام ثم حضر مع القاضي امام

(١) ساعدنا صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي على استخراج بعض مبهعات وقعت في خط البقاعي والتعليق عليها فنشكر فضله

(٢) المنتبس : طبعت في مصر ضمن الرسائل الثانية والعشرين ومعها رسالة له في

اجوبته عما اعترض به عليه

الدين القزويني فانتصر له وقال هو واخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عذرهناه

ثم طلب ثاني مرة في سنة خمس وسبعائة الى مصر فتعصب عليه يبجرس الجاشنكير وانتصر له سالار^(١) ثم آل امره الى ان حبس في خزانة البنود مدة ثم نقل في صفر سنة تسع الى الاسكندرية ثم أفرج عنه وأعيد الى القاهرة ثم أعيد الى الاسكندرية ثم حضر الناصر من الكرك فاطلقه ووصل الى دمشق في آخر سنة ٧١٢ وكان السبب في هذه الخنة ان مرسوم السلطان ورد على النائب بانتحانه في معتقده لما وقع اليه من امور تنكر في ذلك فعقد له مجلس في سابع رجب فستل عن عقيدته فاملى منها شيئاً ثم احضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقري منها وبحثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصني الهندي يبحث معه ثم أخروه وقدموا الكمال الزملاكاني ثم انفصل الامر على انه أشهد على نفسه انه شافعي المعتقد (كذا) فاشاع اتباعه انه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من اتباع ابن تيمية الى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادية فعزروه وكذا فعل الحنفي باثنين منهم

ثم في ثاني عشرين رجب قرأ المزيّ فضلاً من كتاب افعال العباد^(٢) للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب وقال : نحن المقصودون بهذا ورفعوه الى القاضي الشافعي فامر بحبسه فبلغ ابن تيمية فتوجه الى الحبس فاخرج به يده فبلغ القاضي فطلع الى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب فاشتط ابن تيمية على القاضي لكون نائبه جلال الدين آذى اصحابه في غيبة النائب فامر النائب من ينادي : ان من تكلم في العقائد فعل به كذا . وقصد بذلك تسكين الفتنة

ثم عقد له مجلس في سلخ رجب وجرى فيه بين ابن الزملاكاني وابن الوكيل مباحثة فقال : ابن الزملاكاني لابن الوكيل ماجرى على الشافعية قليل حتى تكون انت رئيسهم . فظن القاضي نجم الدين ابن صرصبة انه عناه فمزل نفسه وقام فاعاده الامراء وولاه النائب وحكم الحنفي بصحة الولاية ونفذها المالكى فرجع الى منزله وعلم ان الولاية لم تصح فصمم على العزل فرسم النائب لنوابه بالمباشرة الى ان يرد امر السلطان

(١) سالار كان اكبر نواب الملك الناصر وكان في الدولتين الصالحية والظاهرة

اي اكبر الوزراء . ويقال ان دخله في كل يوم مائة الف درهم

(٢) طبع في الهند في مجموع فيه اربعة كتب

ثم وصل بريدي في اواخر شعبان بعوده ثم وصل بريدي في خامس رمضان يطلب القاضي والشيخ وان ارسلوا بصورة ماجرى للشيخ في سنة ٦٩٨ ثم وصل مملوك النائب واخبر ان الجاشنكير والقاضي المالكي قد فاما في الانكار على الشيخ وان الامر اشد بمصر على الخنابلة حتى صفع بعضهم ثم توجه القاضي والشيخ الى القاهرة ومعهما جماعة فوصلا في العشر الاخير من رمضان وعقد مجلس في ثالث عشره بعد صلاة الجمعة فادعى على ابن تيمية عند المالكي فقال : هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى فكرر عليه فامر فحكم المالكي بحبسه فأقيم من المجلس وحبس في برج ثم بلغ المالكي ان الناس تتردد اليه فقال : يجب التضييق عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره^(١) فنقلوه ليلة عيد الفطر الى الحب وعاد القاضي الشافعي علي ولايته ونودي بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الخنابلة . فنودي بذلك وقرئ المرسوم قرأه ابن الشهاب محمود سيف الجامع ثم جمعوا الخنابلة من الصاحبة وغيرها واشهدوا على انفسهم انهم على معتقد الامام الشافعي (٢)

(١) في محامكة الاحمدين وما زال النكس ولا سيما الكبراء والعلماء ينتلون في الله تعالى ويصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام ينتلون واهل الخير في الامم السالفة يقتلون ويحرقون وينشر احدثهم بالنشر وهو ثابت على دينه وقد سم ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسم الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصب حبيب بن عدي وقتل الحجاج عبد الرحمن ابن ابي ليلى وسعيد بن جبير وغيرها وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربعمائة سوط ثم قتله وسعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شات والبس جبة صوف وخيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط وذلك انه حدث عن النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً اغتدوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً فكان عمر اذا قيل له ابشر قال : كيف نجيب على الطريق وابو عمرو بن العلاء ضربه بنو امية خمسمائة سوط والامام موسى الكاظم سجنه هرون حتى مات والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد ان ضرب وقيل انه جرع سمًا والامام مالك بن انس ضربه المنصور ايضا سبعين سوطاً في يمين المكره وكان يقول لا يلزمه اليقين والامام احمد اتفق وسجن وضرب في ايام بني العباس وللشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة أسوة .

وذكر ولد الشيخ جمال الدين ابن الظاهري في كتاب كشيء لبعض معارفه بدمشق ان جميع من يهصر من القضاة والشيخوخ والفقراء والعلماء والعوام يحيطون على ابن تيمية الا الحنفي فانه يتعصب له والا الشافعي فانه ساكت عنه وكانت من اعظم القائلين عليه الشيخ نصر المنيجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن العربي فكاتب اليه كتاباً يعاتبه على ذلك فما اعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن العربي وتكفيره فصار هو يحيط على ابن تيمية ويغري به ييجرس الجلشنكير . وكان ييجرس يفرط في محبة نصر وبغضه وفام الفاضل زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية مع الشيخ نصر وبالغ في اذية الخنابلة . واتفق ان قاضي الخنابلة شرف الدين الحراني كان قليل البضاعة في العلم فبادر الى اجابتهم في المعتقد واسلموه خطه بذلك واتفق ان قاضي الخنافية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري انتصر لابن تيمية وكاتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم وكاتب منه بخطه ثلاثة عشر سطراً من جملتها انه : « منذ ثلثمائة سنة مارأى الناس مثله » فبلغ ذلك ابن مخلوف فسمى في عزل ابن الحريري فعزل وقرر عوضه شمس الدين الاذرمي ثم لم يلبث الاذرمي ان عزل في السنة المقبلة وتعصب سلاسل لابن تيمية واحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في اخراجه فانفقوا على انهم يشترطون معه شروطاً وان يرجع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه مرات فامتنع من الحضور اليهم واستمر

ولم يزل ابن تيمية في الحب الى ان شفع فيه مهنا عمير آل فضل فأخرج في ربيع الاول في الثالث والعشرين منه واحضر الى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء وكاتب عليه محضر بانه قال : انا أشعري ثم وجد^(١) خطه بما نصه : الذي اعتقد ان القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديم وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وان قوله الرحمن على العرش استوى ليس على ظاهره ولا اعلم كذا المراد بل لا يعطى الا الله والتول في النزول كالقول في الاستواء وكاتبه احمد بن تيمية

ثم اشهدوا عليه انه تاب مما ينافي ذلك مختاراً وذلك في خامس عشرين ربيع الاول (١) المتفحش : في هذه الوجادة نظر لان ابن تيمية قد ملا الدنيا بفتاويه وهو في محبة التي تخالف مايقوله خصومه كما يعلمه من راجع فتاويه المصرية التي طبع منها ثلاث مجلدات

سنة سبع وسبعائة وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأُخرج عنه
وسكن القاهرة

ثم اجتمع جمع من الصوفية عند تاج الدين ابن غطاء فطلعوا في العشر الاوسط من
شوال الى القلعة وشكوا ابن تيمية انه يتكلم في حق مشايخ الطريق وانه قال لا يستغاث
بالنبي صلى الله عليه وسلم فانتفضى الحال ان أمر بالمسير الى الشام فتوجه على خيل
البريد وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشغول بنفسه بالمرض وقد اشرف
على الموت وبلغه سفر ابن تيمية فراسل النائب فرد من بليس وادعى عليه عند ابن جماعة
وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني وقيل ابن علاء الدين القونوي ايضاً شهد عليه
فاعتقل بسجن حارة الدبلم في ثامن عشر شوال الى سلخ صفر سنة تسع وسبعائة فنقل
عنه الى جماعة يترددون اليه وانه يتكلم في نحو ما تقدم فامر بنقله الى الاسكندرية فنقل
اليها في سلخ صفر وكان سفره صحبة امير مقدم ولم يمكن احداً من جهته من السفر معه
وحبس بروج شرفي ثم توجه اليه بعض اصحابه فلم يعاونه فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة
وكان موضعه فيسبحا فصار الناس يدخلون اليه ويقرؤون عليه ويحشون معه - قرأت
ذلك في تاريخ البرزالي فلم يزل الى ان عاد الناصر الى السلطنة فشفع فيه عنده فامر
باحضاره فاجتمع به في ١٨ شوال سنة تسع فأكرمه وجمع القضاة واصلاح بينه وبين القاضي
المالكي فاشترط المالكي ان لا يعود فقال له السلطان : قد تاب - وسكن بالقاهرة وتردد الناس
اليه الى ان توجه صحبة الناصر الى الشام بنية الغزاة في سنة ١٢ وذلك في شوال فوصل
دمشق في مستهل ذي القعدة فكانت مدة غيبته عنها اكثر من سبع سنين وتلقاه
جمع كثير فرحاً بمقدمه وكانت والدته اذ ذاك في قيد الحياة

ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة ١٩ بسبب مسألة الطلاق واكد عليه المنع من
الفتيا ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة عشرين ثم حبس بالقلعة ثم أخرج في عاشوراء
سنة احدى وعشرين ثم قاموا عليه مرة اخرى في شعبان سنة ٢٦ بسبب مسألة الزيارة
واعتنق بالنقمة فلم يزل بها الى ان مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٣٨
قال الصلاح الصفدي : كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس باوصالها ولم يدر عوادها ما لها
وما انصفت مهجة تشكي اذاها الى غير احبابها

وكان ينشد كثيراً :

من لم يقدر ويدس في خيشومه رهج الخبيس فلن يعود خميسا
وأشدد له على لسان الفقراء :

والله ما فقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى واكلنا ماله عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فساد

وسرد اسماء تصانيفه في ثلاثة اوراق كبار واورد فيه من امداح اهل عصره كأن
الزملكاني قبل ان يعرف عنه وكأبي حيان كذلك وغيرهما قال — ورثاه محمود بن علي
الدقوقي ومجبر الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين ابن الاثير
وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين ابن غاتم وشهاب الدين ابن فضل الله
وزين الدين ابن الوردي وجمع جم واورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة
قال الذهبي مالم يخلصه : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف
واستدل ورجح وكان يحق له الاجتماع لاجتماع شروطه فيه قال : وما رأيت اسرع
انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولا شد استحضاراً للشئ وعزوها
منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية
من آيات الله في التفسير والتوسع فيه واما اصول الدين ومعرفة احوال المخالفين فكان
لا يشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس
ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلثائة مجلد بل اكثر وكان قوالاً بالحق لاتأخذه في الله
لومة لائم

قال : ومن خاطبه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني
الى التغالي فيه . وقد أوديت من الفريقين من اصحابه واخذاده وكان ايضاً اسود
الرأس والحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان . ربعة من
الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتربه حدة لكن
يقهرها بالحلم

قال : ولم ار مثله في ابتهاله واستغاثته بالله وكثرة توجهه وانا لا اعتقد فيه عصمة
بل انا مخالف له في مسائل اصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان
ذهنه وتعليل حرمات الدين بشراً من البشر تعتربه حدة في البحث وغضب وشظف
للخصم تزرع له عداوة في النفوس والا لولا لطف خصومه اكان كلمة اجماع كان كيارم

خاضعين لعلومه معترفين بشفوته مقرين بتدور خطائه وأنه بحر لا ساحل له وكفر
لا نظير له ولكن ينتمون عليه اخلاقاً وافعالاً وكل احد يؤخذ من قوله ويترك
قال : وكان يحافظ على الصلاة والصوم معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً لا يفتي من
سوء فهم فان له الذكاء المفرط ولا من قلة علمه فانه بحر زخار ولا كان مثلاً عاكساً بالدين
ولا ينفرد بمسائل بالتشهي ولا يمانى لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس
ويبرهن وينظر أسوة من تقدمه من الائمة فله اجر على خطائه واجرات على اصابته
الى ان قال :

تمرض اياماً بالقعدة تمرضاً جدياً الى ان مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة
وصلي عليه بمجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل واقل ما قيل في
عددهم انهم خمسون الفا

قال الشهاب بن فضل الله لما قدم ابن نعيم على البريد الى القاهرة في سنة سبعائة
تزل عند عمي شرف الدين وحض اهل المملكة على الجهاد وانظت القول للسلطان
والامراء وورثوا له في مدة اقامته في كل يوم ديناراً ومحفقة طعام فلم يقبل من ذلك
وارسل له السلطان بقجة قماش فردها قال ثم حضر عنده شيخنا ابو حيان فقال ما رأيت
عيناى مثل هذا الرجل ثم مدحه بايات ذكر انه نظمها بديهة وانشدده اياها

لما اتانا نقي الدين لاح لنا	داع الى الله فرد ماله وزر
على مجيئه من سبيل الاولى صحبوا	خير البرية نور دونه التمر
حبر تسربل منه دهره جبراً	بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن نعيم في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم اذ عصت مضر
واظهر الحق اذ آثاره اندرست	واحمد الشراذ طارت له شرر
كما تحدث عن حبر يحى فيها	انت الامام الذي قد كان ينتظر

قال ثم دار بينهما كلام فجري ذكر سيويه فانظت ابن نعيم القول في سيويه فناقره
ابو حيان وقطعه بسببه ثم عاد ذاتاً له وصبر ذلك ذنباً لا يغفر قال : وحج ابن الحب سنة
٧٣٤ فسمع من ابي حيان اناشيد فقرأ عليه هذه الايات فقال قد كسبتهما من ديواني
ولا اذكره نسأله عن السبب فقال : ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيويه
فقال ليس بشيء قال ابو حيان : وهذا لا يستحق الخطاب ويقال ان ابن نعيم قال له ما كان
سيويه نبي النجوى ولا كان معصوما بل اخطأ في اكثر من اربعين موضعاً ما تفهمها انت

فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره
النهر وراثه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل
من المسالك ان شاء الله تعالى . وراثه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية^(١)
قال كمال الدين السمرري في اماليه : ومن عجائب ما وقع في الحفظ من اهل زماننا ان
ابن نبيمة كان يمر بالكتاب فيطالع مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته
بلفظه ومعناه

(١) اليك قصيدة ابن الوردي نقلا عن ديوانه المطبوع في الجواب

عشا في عرضه قوم سلاط	لم من ثمر جوهره الثقات
(نقي الدين احمد) خير خير	خروق العضلات به نحات
توسيف وهو محبوبس فريد	وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألقوا	ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نجا وليس له قريب	ولا كتنظيره الف التماط
فريدا في ندى كف وعلم	وحل المشكلات به يناط
وكان الى التقى يدعو البرايا	وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطاء	بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ماذا ضم لحد	ويا لله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كالى	ولكن في اذاه لم نشاط
وحبس الدر في الاصداف نحر	وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بال الهاتمي له اقتداء	فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو نبيمة كانوا فبانوا	نجوم العلم ادر كها انهاط
ولكن ياندامة حاسديه	فشك الشرك كان به يناط
الم يك فيكم رجل رشيد	يرى سجن الامام فيستشاط
ويا فرح اليهود بما فعلتم	فان الضد يعجبه الخباط
امام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كب مال	ولم يعهد له بكم اختلاط
فقيم سجنتموه وغظتموه	اما لجزا اذيته اشتراط

وقال الاقشيري في رحلته في حق ابن ابيية : بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخرى وما من فن الا وا. فيه يد طويل وقلمه ولسانه متقاربان قال الطوفي : سمعت يقول : من سألني مستفيداً حققت له ومن سألني متعتاً ناقضه. فلا يلبث ان ينقطع فاكنى مؤلفته وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل : عظيم النفع : وكان يشكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر احد على ان يورده في عدة مجالس كان هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذكر . ومن ثم نسب اصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زها على ابناه جنسه واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى الى عمر نخطاه في شي فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فانكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر وقال في حق علي : اخطأ في سبعة عشر شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها اطول الاجلين . وكان لتعصبه لمذهب الخبالة يقع في الاشاعرة حتى انه سب الفزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه ولما قدم غازان بجيوش التتر الى الشام خرج اليه وكله بكلام قوي فهم بقتله ثم نجوا واشتهر امره من يومئذ

واتفق ان الشيخ نصر المتبحر كان قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه ان ابن ابيية يقع في ابن العربي لانه كان يعتقد انه مستقيم وان الذي ينسب اليه من الاتحاد او الاتحاد من قصور فهم من ينكر عليه فارسل بنكر عليه فكتب اليه كتاباً طويلاً ونسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الاتحاد فعظم ذلك عليهم واعاز عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد منكراً (٩) وقعت منه في مواعيده

وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي	ففيه لتقدر مثلكم انخطاط
اما والله لولا كنتم سري	وخوف الشر لانحل الرباط
وكنتم اقول ما عندي ولكن	باهل العلم ما حسن اشتطاط
فما احدث الى الانصاف بدعو	وكل في هواه له اغتراف
سيظهر قصدكم باحسانه	ونيشكم اذا نصب الصراط
فما هو مات عنكم واسترحتم	فماطوا ما اردتم ان تعاطوا
وحلوا واعتقدوا من غير رد	عليكم وانطوى ذلك البساط

وفتاويه فذكروا انه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر^(١) درجتين فقال : كنزولي هذا .
 قسب الى التجسيم ورده على من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم او استغاث فأشخص
 من دمشق في رمضان سنة خمس (بعد السبعائة) فخرى عليه ماجرى وحبس مراراً فاقام
 على ذلك نحو اربع سنين او اكثر وهو مع ذلك يشتغل وبغني الى ان اتفق ان الشيخ
 نصراً قام على الشيخ كريم الدين الايلي شيخ خانقاه سعيد السعداء فأخرجه من خانقاه وعلى
 شمس الدين الحريري فأخرجه من تدريس الشرفية فيقال ان الايلي دخل الخلوة
 بمصر اربعين يوماً فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكره وتصروا بطلق ابن ليمية
 الى الشام

واقترق الناس فيه شيعاً فمنهم من نسب الى التجسيم لما ذكر في المتقدمة الحموية والواسطية
 وغيرهما من ذلك كقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وأنه مستوي
 على العرش بذاته فقليل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا اسلم ان التحيز
 والانقسام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول ثبت (٢) التحيز في ذات الله تعالى

ومنهم من ينسبه الى الزلذقة لقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستعاض به وان في
 ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس عليه في
 ذلك النور البكري فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين : يعزز
 فقال البكري لامعنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزز

ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي ما تقدم ولقوا انه كان مخذولاً حيث
 مانوجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم يلقها وانما قاتل للرياسة لا للدبابة ولقوله انه كان
 يجب الرياسة^(٣) وان عثمان كان يحب المال ولقوله ابو بكر اسلم شيخاً لا يدري ما يقول
 وعلي اسلم صبياً والصبي لا يصح اسلامه على قول ولكلامه في قصة خطبة ابنه ابي جهل
 وما فيها من الثناء على . . . وقصة ابي العاص بن الربيع وما يوجد من مفهومها فانه
 مشنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم ولا يغضك الا منافق

ونسبه قوم الى انه يسى في الامامة الكبرى فانه كان يلحق بذلك ابن تومرت ويطريه
 فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حوقيق واُزِم يقول لم ارد
 هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً قال : وكان من اذكياء العالم وله في ذلك امور

(١) هو محل التدريس لا منبر الخطابة المعروف في المساجد اليوم

(٢) في كتابه منهاج السنة ما يكذب هذه الفرية على شيخ الاسلام

عظيمة منها ان محمد بن ابي بكر السكاكيني عمل اياتاً على لسان ذي في انكار القدر واولها:
 ايا علماء الدين ذي دينكم تحب دلوه باعظم حجة
 اذا ما قضى ربي بكفري بزمكم ولم يرضه مني فواجه جيلتي
 فوقف عليها ابن تيمية فثنى احدى رجليه على الاخرى واجاب في مجلسه قبل ان
 يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً اولها

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية^(١)

وقال شيخ شيوخنا الحافظ ابن سيد الناس في ترجمة ابن تيمية وهو الذي
 حدا في على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين قال : فالفقيه من ادرك من العلوم
 حظاً ، وكان يستوعب السنة والآثار حفظاً ان تكلم في التفسير فهو حامل راية ، وانتي
 في الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وروايته ، او حاضِر
 بالملل والتحل لم ير اوسع من نخلته في ذلك ولا ارفع من درايته ، برز في كل فن على
 ابناء جنسه ، فلم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه . كان يتكلم في التفسير ،
 فيحضر مجلسه الجلم الفقير ، ويردون من بحره العذب النهر ، ويرتعون من ريع فضله في روضة
 وغدير ، الى ان دب اليه من اهل بلده داء الحسد واللب اهل النظر منهم على ما ينتقد عليهم من
 امور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاماً ، اوسعوه بسببه ملاماً ، وفوقوا لتبديدهم سهاماً ، وزعموا انه
 خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازعه طائفة
 اخرى ينسبون من الفقر الى طريقتهم ، ويزعمون انهم على ادق باطن منها واجل حقيقة ،
 وكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مراغم وموابق ، فأضت الى الطائفة الاولى من منازعته ،
 واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعته ، فأوصلوا الى الامراء امره ، واعمل كل منهم
 في كفره فكره ، فرتبوا المحاسن ، وألبوا الرويضة (؟) للسعي بها عند الاكابر وسعوا
 في نقله الى حاضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وادع السجدة ساعة حضوره
 واعتقل ، وعقدوا لاراقه دمه بجالس ، وحشدوا لذلك قوماً من عمار الزوايا وسكان
 المدارس ، من عامل في المنازعة ، مخال بالمخادعة ومجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ،
 يسومونه رب المتنون ، ورك بك بعلم ما تكن صدورهم وما يعنون ، وليس المجاهر بكفره
 بأسواً حالاً من المجامل وقد دبت اليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل في نحره ، ونجاه

(١) شرح نجم الدين الطوفي جواب شيخ الاسلام في نحو كراسين شرحاً لطيفاً وهو

موجود في بعض مكاتب دمشق

على يد من اصطفاه الله غالب على امره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينقل طول عمره من محنة الى محنة ، الى ان فرض امره الى بعض القضاة فتقلد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك الى حيث ذهبه الى رحمة الله تعالى وانتقاله الى الله ترجع الامور ، وهو المطلع على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وكان يومه شهوداً ضاقت بمنازاته الطريق ، واتابها المسلمون من كل فج عميق ، يتركون بمشهده يوم تقوم الاشهاد ، ويتمسكون بسريره حتى كسروا تلك الاعواد .

وقال الذهبي مترجماً له في بعض الاجازات : نراً القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وافنى ودرس وهو دون العشرين وحسن التصنيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وتصانيفه نحو اربعة آلاف كراسة واكثر .

وقال في موضع آخر واما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة احوال السلف وقل ان تذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ولما كان معتقلاً بالاسكندرية التمس منه صاحب سبنة ان يجيز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة اوراق باسائده ومن حفظه بحيث يعجز ان يعمل بعضه اكبر من يكون واقام عدة سنين لا يفتي بمذهب معين .

وقال في موضع آخر : بصيراً بطريقتي السلف واحتج له بادلة وامور لم يسبق اليها واطلق عبارات اجم عنها غيره حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصريين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لا يدهن ولا يجاني بل يقول الحق اذا اداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته فخرى بينهم حملات جزئية ووقعات شامية ومصرية ورموه عن قوس واحدة ثم نجاه الله سبحانه وتعالى وكان دائم الاشتغال كثير الاستغاثه قوي التوكل رابط الجأش له اوراد واذكار يدمنها

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فاجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره في نفسي اكثر من ذلك

واجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواء وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاولى وغرامة مثله في هذا الزمان بل من ازمان

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين خليل العلاني في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبدالله محمد بن خليل مانصه : وسمع بهاء الدين المذكور على الشينين شيخنا وسيدنا وامامنا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق السالك عمن اتبعه احسن طريق ذي الفضائل المتكاثرة والحجج الباهرة التي اقرت الامم كافة ان همها عن حصره قاصرة منعنا الله بعلمه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني والحبر البحر القطب النوراني امام الائمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين اوجد علماء الدين شيخ الاسلام حجة الاعلام تقي الدين . . . سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفيدين ترجمان القرآن أعجوبة الزمان فريد العصر والاولان . . . حجة الله على العالمين اللاحق بالصلحين والشبه للماضين مفتي الفرق ناصر الحق علامة الهدى عمدة الحفاظ ركن الشريعة كنز المعاني والالفاظ ذي القنون البديعة ابي العباس ابن تيمية اهـ»

هذه ترجمة نابغة الاسلام واعجوب علماء القرون الوسطى ولو لم يكن في هذا الكتاب سوى ترجمته لكان كافياً في طبعه والكتاب نسخة نفيسة نادرة في بابها لان ناسخه عالم محقق وبعناد الانسان قراءة خطه على اعجاز بهاء قراءة بضع صفحات منه وقد طمست بعض سطوره من اوائل بعض الصفحات لما او رطوبة اصابته ولكن يسهل اثبات الصحة ولو بمراجعة بعض المظان المطبوعة وغيرها

والكتاب كما تقدم بخط البرهان البقاعي المفسر قال في آخره : قال شيخنا شيخ الاسلام والحفاظ مصنفه ومن خطه نقلت النسخة التي نقلت منها هذه فرغ منه جامعه سوى ما الحق فيه بعد تاريخ فراغه في شهر سنة ثلاثين وثمان مائة ثم الحق فيه الى سنة سبع وثلاثين ولم يكمل الغرض من الالحاق لبقايا من التراجم في زوايا لم استوعبها بعد اعان الله تعالى على استكمال ذلك عنه وكرمه آيين . قلت (البقاعي) وكانت كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر علي قراءة كثير من النظم الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحرير

ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان تيسر او يحرج ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكانت فراغي من هذه سنة ١٢ شوال سنة ٨٥٩ بميزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اهـ

اما ابن حجر العسقلاني فهو شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر نسبة الى حجر قوم تسكن الجنوب العسقلاني الاصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة وله سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وتوفي سنة ثمانمائة واثنين وخمسين والمؤلف هذا معدود من ائمة الشافعية وله غير ذلك من الكتب منها تاريخ مرتب على السنين^(١) سماه انباء الغمر في ابناء العمر وفي المكتبة الظاهرية مسودته بخط مؤلفه وهي لا تكاد تقرأ لما فيها من سقم الحروف والشطب والتعليق قال في مقدمته : وبعد فيقول العبد الضعيف احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر العسقلاني الاصل المصري المولد القاهري الفار هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان منذ مولدي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة وهم جرا مفصلا في كل سنة احوال الدول ووفيات الاعيان مستوعبا لرواة الحديث خصوصا من لقيته او اجاز لي الى ان قال وسميته انباء الغمر بابناء العمر

وهاك نموذجا من تأليفه : سنة سبع وسبعين وسبع مائة : فيها في المحرم طهر السلطان اولاده وعمل لهم « ميا » عظيما اتفق فيه من الاموال ما لا يحصى وظهرت فيه من الفواخش والقبائح ما لا مزيد عليه واستمر ذلك سبعة ايام . سنة اربع وسبعين وسبع مائة : وفيها كان الربا بدمشق فدام مدة تسعة اشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر . سنة اربع وتسعين وسبع مائة : هجم على النائب بدمشق خمس انفس فقتلوه واخرجوا من الحبس من الميكاسه (?) وعنفوا مائة نفر وملكوا القلعة لحاجبهم الحاجب في عسكر دمشق وضيق عليهم الى ان غلبوا فاحرق عليهم الباب وامسكوا الثاثرين فلم يبقوا منهم الا من هرب

وقال في اول الجزء الثاني وهو يتندي^١ باول القرن التاسع من الهجرة مانصه : دخلت سنة احدى وثمان مائة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر ابو سعيد بريقوق وسلطان الروم ابو يزيد بن عثمان وسلطان الين من نواحي تهامة الملك الاشرف

ومن نواحي الجبال الامام الزيدي الحسيني وسليمان المغرب الادنى ابو فارس عبدالعزيز الحفصي وسليمان المغرب الاوسط المربني وسليمان المغرب الادنى ابن الاحمر وصاحب البلاد الشرقية ثيمور وكان المعروف بالملك وصاحب بغداد احمد بن ادريس وامير مكة حسن بن مجلان والخليفة العباسي ابو عبدالله محمد المتوكل على الله وبدعى امير المؤمنين وينازعه بهذا الاسم الامام الزيدي وبعض ملوك المغرب وصاحب اليمن .

وقد امتد الكتاب الى ستة وخمسين وثلاثمائة وبديء به سنة ثلاث ومبشرين وسبعمايةة وقد ذكر صاحب كشف الظنون اذ يالا لانباء الغمر فمن انا بان نظفر بالاصل والفرع ويطبعها كما يطبع الدرر الكامنة

واما ناسخ الكتاب فهو البرهان البقاعي صاحب المناسبات ترجم له الضوء اللامع ترجمة مطولة وكلها مطاعن لانهما تدارسا العلم في سن الطلب واستفاد كل منهما من الآخر حتى ادة الطلبة فما قاله فيه انه ابراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين وكفى نفسه ابا الحسن الخرباوي البقاعي صاحب تلك العجائب والنوائب والقلائل والمسائل المتعارضة المتناقضة ولد فيما زعم تقريرا سنة تسع وثمانمائة بقرية يقال لها خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة قال ووقائعه كثيرة واحواله شهيرة ودعاويه مستفيضة اهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة بحيث زعم انه قيم العصر بين بكتاب الله وسنة رسوله الى غير ذلك من المطاعن التي وجهها اليه وظهرت فيها نواجذ الشر والعداوة على انه من اهل العلم المذكورين في عصره والمعدودين من محاسن دهره ولو لم يكن له الا تفسيره سيف تناسب الآيات والسور الذي لم يؤلف في الاسلام مثله لكفاه فضلا ورحل في آخر امره الى دمشق واتخذها موطنه وتوفي في رجب سنة ٨٨٥ ودفن في مقبرة الحمزية ضاهر الشويكة في دمشق الشام ويوجد في المكتبة الظاهرية من تفسيره اثنيون . نستختار عورضت احداها على مؤلفها وبها خطه رحمه الله

